رسالة الجامعة ووظيفتها

الأيام البيداغوجية العاشرة التي نظمها المنتدى الوطني للتعليم العالي والبحث العلمي بالتعاون مع جامعة الحسن الثاني والمعهد العالمي للفكر الإسلامي والمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية

الدار البيضاء/ المغرب: ١٤-١٥ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ الموافق ٢٦-٢٧ أبريل (نيسان) ٢٠١٣م

إعداد: السعيد الزاهري* وبلال التليدي**

نظم المنتدى الوطني للتعليم العالي والبحث العلمي، بشراكة وتعاون مع جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء واستشارية المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالمغرب والمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الأيام البيداغوجية العاشرة، وذلك يومي الجمعة والسبت ٢٦-٢٧ أبريل ٢٠١٣، في موضوع: "رسالة الجامعة ووظيفتها" بالمكتبة الوسائطية محمد السقاط، التابعة لجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، بمشاركة ثلة من الأساتذة الجامعيين.

وقد افتتحت هذه الأيام بكلمة لرئيس جامعة الحسن الثاني الأستاذ جعفر خالد الناصري، رأى فيها أن الحاجة إلى الجواب عن سؤال دور الجامعة ورسالتها غدت أولوية كبيرة في أجندة إصلاح المنظومة التربوية، وأن الجواب عن سؤال التقدم مرتبط بتحديد دور الجامعة ووظيفتها، ولفت الانتباه إلى نوع التكوين الذي تنشده الجامعة، كما دعا إلى بحث أشكال تمويل الجامعة، عادّاً الحسم فيها في السنوات الخمس القادمة أولوية من الأولويات.

وكشف المستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالمغرب؛ الدكتور خالد الصمدي عن انشغال المعهد العالمي بتطوير التعليم الجامعي بالعالم العربي. واستعرض التحديات التي عرفتها الجامعة في السنوات العشر الأخيرة، مؤكداً الحاجة إلى إعادة هيكلة

* أستاذ التعليم العالي تخصص تكنولوجيا الإعلاميات وهندسة التربية والتكوين، في كلية أصول الدين بجامعة القرويين، تطوان/ المغرب
** نائب برلماني مغربي، ومحرر وباحث في مركز نماء للبحوث والدراسات.

الجامعات المغربية، ووضع استراتيجية جديدة للتعليم الجامعي. كما ألمح إلى مشكلة البحث العلمي في الجامعات، والحاجة إلى ربطه بالمحيط الاقتصادي وحاجيات التنمية في البلاد.

ورأى نائب رئيس المنتدى الوطني للتعليم العالي؛ السيد محمد إدعمر أن عقد الأيام البيداغوجية بعد عشر سنوات من التعثر في مسار الإصلاح الجامعي، يعدُّ محطة أساسية للتقويم واستقراء واقع الجامعة المغربية؛ لاستحضار تحدياتها، والتفكير بشكل جماعي في خارطة طريق جديدة، تسهم في البحث عن المخارج الممكنة، والأسباب التي أعاقت قدرة المبادرات السابقة على تحقيق الإصلاح.

انتظمت الجلسات العلمية للأيام البيداغوجية في ثلاث جلسات وعلى مدار يومين؛ إذ خصصت الجلسة الأولى التي ترأسها الدكتور حامد أبشير لتقويم مسار التعليم العالي بالمغرب. وكانت الورقة الأولى للدكتور الكاملي؛ العميد السابق لكلية العلوم بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان، وهي بعنوان: "تطور التعليم العالي بالمغرب: نحو إعادة تعريف دور الجامعة ورسالتها"؛ إذ رصد فيها مراحل تطّور التعليم العالي بالمغرب، وحاول إعادة تعريف دور الجامعة ورسالتها، مشيراً إلى أنماط التعليم العالي في المغرب: التقليدي والمعاصر، والمحطات التاريخية والتحولات التربوية والتعليمية والمجتمعية التي طرأت على التعليم الجامعي وانعكست عليه وعلى المجتمع المغربي، ومسارات إصلاح التعليم الجامعي، وعرض تصوّراً رؤيوياً قوّم من خلاله مسار الإصلاح في التعليم الجامعي، وحدّد الرهانات التي تواجه مستقبل الجامعة المغربية.

وعرض الدكتور عمر الكتاني الأستاذ بكلية العلوم القانونية والاقتصادية بجامعة محمد الخامس – أكدال الرباط في ورقته المعنونة بـ"الجامعة ورسالة بناء الإنسان والقيم الدافعة"، وجهة نظر مختلفة لرسالة الجامعة المغربية؛ إذ انتقد اختصار وظيفة الجامعة في البعد المهني المرتبط بإكساب الخبرات والمؤهلات التي تسهل على خريج الجامعة الاندماج في سوق

الشغل، مؤكداً على أن دور الجامعة الأساسي هو بناء الإنسان وبناء القيم الدافعة والحافزة على التنمية. كما انتقد التوجهات التي تسعى إلى تهميش التكوين النظري والإعلاء من التكوين المهني. وفرّق الكتاني في هذا الصدد بين وظيفة الجامعة ووظيفة الاقتصاد، موضحاً بأن وظيفة الجامعة ليست خلق الوظائف، وأن هذه المهمة موكولة إلى الاقتصاد، بينما تنصرف مهمة الجامعة الأساسية إلى تكوين الإنسان وتأهيله وصناعة القيم الدافعة للبحث العلمي والتنمية.

وتركزت المداخلة الثالثة المعنونة بـ"الجامعة والحاجة إلى استراتيجية وطنية شاملة لإصلاحها" على تقويم واقع وآفاق التعليم الجامعي في المغرب؛ إذ قدم فيها الدكتور عبد اللطيف اليوسفي؛ عضو المجلس الأعلى للتعليم رؤيته للأخطار والتحديات والرهانات التي تنتظر الجامعة العمومية، فتوقف في تشخيصه لوضعية الجامعة المغربية على بعض الجوانب الإيجابية التي تحققت بفضل السياسات العمومية التي انتهجت، واستعرض في المقابل الاختلالات التي عرفتها على المستوى المجتمعي والمستوى البنيوي للجامعة. وكشفت ورقة اليوسفي عن التحديات التي تواجه الجامعة المغربية: داخلياً وخارجياً. وبخصوص الرهانات التي تنتظر الجامعة المغربية، أكد اليوسفي على ضرورة التوجه إلى الإصلاح الشمولي النسقي الذي ينظر إلى المدى البعيد، مركزاً على ضرورة تأهيل الجامعة لجعلها في مستوى مواكبة المتغيرات الدولية.

وناقشت أوراق الجلسة الثانية التي ترأسها الدكتور خالد الصمدي مقومات النهوض بالتعليم الجامعي؛ إذ قدّم الدكتور محمد الخمسي؛ الأستاذ بجامعة سيدي محمد ابن عبد الله– كلية العلوم والتقنيات بفاس ورقة حول "مقومات نجاح الجامعة العمومية في تأدية رسالتها"، انطلق فيها من طرح سؤال جدوى الجامعة العمومية المغربية، عادّاً المدخل للجواب عن هذا التساؤل مرتبطاً بحجم استقلال القرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، ثم بمساحة السيادة الوطنية في محيطنا الإقليمي والدولي ثانياً. وحذر

الخمسي من المخاطر التي يمكن أن تنشأ عن هيمنة الجامعات غير الحكومية من غير التفكير في إطار قانوني تعاقدي استراتيجي، نظراً للمنطق الربحي لهذه الجامعات. ورأى الخمسي أن الأولوية ينبغي أن توجه إلى صياغة سياسة لغوية رشيدة، وإلى ضرورة توفر مقوم الجاهزية للتغيير في جميع مستوياتها، وعلى مقوم توطين المعرفة في المجتمع والدور المحوري الذي يمكن أن يقوم به الأساتذة الجامعيون في هذا الاتجاه، وذلك بالانتقال من الفضاء الجامعي إلى المجتمع، بالإضافة إلى مقوم سد الفجوات المعرفية سواء منها الكلية أو الجزئية.

أما المداخلة الثانية التي جاءت بعنوان: "الرسالة الجديدة للجامعة المغربية"، فقد خصصها الدكتور إدريس الطحطاوي؛ الباحث في جامعة أبي شعيب الدكالي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، للحديث عن الرسالة الجديدة للجامعة المغربية. استهل الباحث الحديث عن علاقة الجامعة بمعضلة بطالة الخريجين، مورداً إحصائيات مقلقة بهذا الشأن. وأوضح الباحث أن المغرب قام بعدد من التدابير والإصلاحات من أجل تطوير ثقافة المشاريع، ومثّل لذلك بالإصلاح البيداغوجي الجامعي الذي أعاد تعريف رسالة الجامعة بالتركيز على مساهمتها في التقدم. وذهب الطحطاوي إلى ضرورة مضاعفة الجهود وإدخال وحدات مرتبطة للمشاريع وبيئة الأعمال من أجل تعزيز قيم الريادة وفي مجال الأعمال.

أما الجلسة الثالثة، التي انعقدت صباح يوم السبت ٢٧ أبريل ٢٠١٣ وترأسها الدكتور محمد إدعمر، فقد ركزت على المحور الذاتي في الإصلاح؛ إذ ركز الدكتور عبد القادر لشقر؛ أستاذ العلوم السياسية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس الكلية متعددة التخصصات- تازة، في ورقته: "في الحاجة إلى ميثاق أخلاقي لمهنة الأستاذ الباحث" على الحاجة إلى ميثاق أخلاقي لمهنة الأستاذ الباحث، مؤكداً أن عملية الإصلاح تتطلب تقوية أخلاقيات الأستاذ الباحث، لا سيما بعد بروز مظاهر سلبية تمثلت في ابتعاد شريحة من

الأساتذة الجامعيين عن القيم والمعايير الأخلاقية العلمية. ولفت الباحث النظر إلى أوجه القصور في البحث العلمي، وضعف مواكبة الأستاذ الجامعي لما يصدر في مجال اختصاصه، وحاجته إلى تطوير نفسه ومادته العلمية، كما لاحظ عزلة الأستاذ الجامعي عن محيطه وبيئته الاجتماعية. وتوقف عند بعض المؤشرات المقلقة في المسار المهني لبعض الأساتذة الجامعيين، والممارسات السلبية التي تضر بالرسالة التعليمية.

وفي مداخلة عن "واقع البحث العلمي بين الأمس واليوم"، كشف الدكتور خالد سامي؛ الأستاذ بكلية العلوم بجامعة القاضي عياض، عن التحولات التي عرفتها مهام الجامعة ووظائفها في العقود الأخيرة، مشيراً بهذا الخصوص إلى ارتفاع الطلب على التعليم وارتفاع المستوى المعرفي المتطلب في المواطن، بحكم تنامي إنتاج المعرفة وتسارع الحاجة إلى تحويل المعارف إلى مواد تدريس يتم استغلالها في ممارسة يومية. وقدّم الباحث معطيات إحصائية مقلقة عن عدد المغاربة الذين يقصدون الوجهة الأوروبية للتعليم الجامعي، وقدّم معطيات أخرى عن هجرة العقول المنتجة للخارج. وأشار الدكتور سامي إلى دور اتساع المعرفة في انشطارها وظهور التخصصات المتنوعة والمتداخلة، وبروز الحاجة إلى تدبير هذا التداخل. كما نبّه إلى قضية عولمة معايير ومقاييس التكوين، وإلى قضية تمويل التعليم والبحث العلمي، وأهمية المجتمع الأهلي في ذلك. وأشار في نهاية ورقته إلى مهام الجامعة كما تصوغها متطلبات الحاضر.

وقد تضمنت هذه الجلسة أيضا مشاركة الدكتور أحمد بوصفيحة؛ الباحث بكلية الطب والصيدلة، الدار البيضاء بورقة بعنوان: "لغة التدريس وضرورة دعم اللغة العربية في التعليم العالي العمومي"، قدّم فيها التعليم الطبي نموذجاً، عارضاً تجربة الانشغال بتعريب الطب من خلال تجربة إصدار مجلة صحية باللغة العربية. وتقدّم الدكتور بوصفيحة بعرض أهداف الجمعية المغربية للتواصل الصحي التي تصدر المجلة الصحية ووسائل اشتغالها، مبرزاً أهمية الأطروحة الطبية العربية والاشتغال على ترجمة عناوين بحوث المؤتمرات الطبية إلى

العربية وترجمة فهرس المجلات الصحية. وقلّل الباحث من تحدي المصطلحات العلمية الأجنبية التي تعترض عملية التعريب، وأشار بهذا الخصوص إلى أن هذه المصطلحات لا تتجاوز نسبة ٥%، وأنه يتم ترجمتها بالمعجم الطبي المعتمد في منظمة الصحة العالية، مع الاحتفاظ بالمصطلح بالفرنسي وإلى جانبه المصطلح المعرب.

وفي ختام أشغال هذه الأيام البيداغوجية الجامعية، قرر المشاركون منح شرف تنظيم الدورة المقبلة لجامعة ابن زهر بمدينة أكادير/المغرب؛ إذ ستعقد تحت عنوان: "الجامعة وتنمية المجتمع".